

المنهج الصوفي وحوار الأديان

مسعودي هشام¹، حمادي هواري²

1- جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

hichem.messaoudi@univ-mascara.dz

2- جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر + مخبر حوار

الحضارات.التنوع الثقافي وفلسفة السلم .

houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2020/06/23؛ تاريخ القبول: 2022/08/05

Sufi curriculum and dialogue for religions,

A. MESSAOUDI, B. HAMMADI.

Abstract:

In this article, we are trying to present a topic related to Islamic philosophy, specifically with Islamic Sufism, where we will return to the Sufis and their method or way of reaching the truth, and its relationship to dialogue between religions and the culture of the other in particular, in light of the growth of the phenomenon of extremism and various new challenges, so in this research paper We will discuss the concept of Sufism and its major elements such as revelation, observation and gratitude ... In general we seek to explain: Sufism is when Sufism, the method of Sufism is in the knowledge of God Almighty, the foundations of convergence when Sufism, the dimensions of knowledge when Sufism and the most important dialogue of religions, in order to realize the extent of the Sufism from others From the neighborhoods Knowledge, and its importance in the global and local realities.

Keywords: Sufism; taste; revelation; knowledge; interfaith dialogue.

المخلص:

نحاول في هذا المقال طرح موضوع خاص بالفلسفة الإسلامية وبالتحديد بالتصوف الإسلامي حيث سنعود إلى المتصوفة و منهجهم أو طريقهم في الوصول الى الحقيقة ، وعلاقة ذلك بالحوار ما بين الأديان و ثقافة الآخر خصوصا، في ظل نمو ظاهرة التطرف

هشام مسعودي

hichem.messaoudi@univ-mascara.dz

Almawaqif

Vol. 19 N°: 01 juin 2023

ومختلف التحديات الجديدة، إذن في هذه الورقة البحثية سنبحث في مفهوم التصوف وعناصره الكبرى كالكشف والمشاهدة والعرفان... بصورة عامة نسعى إلى بيان: العرفان عند الصوفية، منهج الصوفية في معرفة الله سبحانه وتعالى، أسس التلقي عند الصوفية، إبعاد المنهج والمعرفة عند الصوفية وأهمها حوار الأديان، لكي ندرك مدى تميز التصوف عن غيره من مجالات الحياة والمعرفة ومدى أهميته في الراهن العالمي والمحلي .

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ التذوق؛ الكشف؛ العرفان؛ حوار الأديان.

مقدمة:

منذ فجر التاريخ، طرح الانسان تساؤلات كبرى حول مسائل مختلفة ومتعددة، أهمها تلك التي تتعلق بالألوهية والوجود والقيم والمعرفة، كانت الفلسفة إلى جانب الدين أهم الأدوات في طرحها والبحث فيها، ولعل أهم حقولها التصوف الذي وجد ضالته في الفكر البشري منذ القديم إلى يومنا هذا، حيث وجد قديما مع التنسك الهندي والزهة بأنواعه و ذروته في العصر الوسيط مع مجيء الديانات السماوية: اليهودية – المسيحية – الإسلام، كما عرف اهتماما كبيرا في الفترة الحديثة والمعاصرة متماشيا مع مستجداتها ومتطلباتها وعلى رأسها حوار الأديان.

مع ظهور الاسلام وأقطاب الصوفية المسلمين مثل: الحلاج، ابن عربي، جلال الدين الرومي وغيرهم، ظهر إلى جانب النظريات الكبرى حول الوجود والقيم والمعرفة....، نمطا خاصا من المعرفة يقوم على الذوق والقلب والأسرار يطلق عليه –العرفان-، وهو ما يعتبر طريقا متميزا للبحث عن الحقيقة وحقيقة الحقائق ارتبط بالتصوف: فإذا كان هذا الأخير يقوم على التجربة والعمل أو يتجاوز النظر العقلي فهل يمكن القول أن للتصوف منهجا في البحث عن الحقيقة لاسيما إذا عرفنا أنه يفلت من العقل والقواعد والطرق الواضحة؟

للبحث في هذه الإشكالية نتوخى البحث في فرضية وجود منهج في التصوف يقوم على الذوق والعرفان والكشف، ولمناقشة هذا البحث اقترحنا المنهج التحليلي كونه يعتمد على تفكيك العناصر الى أجزاء ومن ثم حدوث عملية الاستنباط المعرفي وكشف الحقيقة ثم إعادته تركيبها من جديد حتى تظهر في صورته معرفية تعكس حقيقة اللغة الصوفية ودورها.

نهدف في هذا البحث إلى بيان أن: التصوف مصدرا للمعرفة يعبر عن نتائج يمكن لها أن تساعد البشرية في ادراك الحقيقة، وأنه يصل العبد بخالقه و فهم الوجود والإنسان، وبالتالي يمكنه أن يقدم منهجا مختلفا للوصول للمعرفة ويساهم في الحوار بين الأديان ونقد التطرف الديني. ومن المستجدات التي يمكن أن نتطلع لها في مقالنا، ربط المنهج الصوفي بتحديات الراهن والمستقبل كالعولمة الإسلاموفوبيا... فهدفنا الأسمى هو التأسيس للأنسنة والمعرفة والحوار بين الأديان.

1-ضبط مفهومي التصوف والعرفان: إن المنطلق الأول لفهم أي مسألة تطرح في سياق التصوف من الناحية الفلسفية تنطلق أولا من البحث في مفهومه الذي يحمل تعدد وتنوعا، وما يهمننا في موضوعنا التصوف من منظور فلسفي ومنهجه وعلاقته بالعرفان، فما معنى التصوف؟ وما معنى العرفان؟ وما العلاقة بينهما؟

1-1تعريف التصوف:

تتعدد مفاهيم التصوف وتختلف بين المدلولات اللغوية والاصطلاحية، إذ يرجح الكثير من الباحثين أنه في اللغة والاشتقاق يعود إلى الصوف، يقول ابن خلدون: "والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب -أي المتصوفة- مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"(ابن خلدون، 2004: 504)، أما في الاصطلاح يؤكد عبد الرحمن بدوي وجود حشد هائل من التصورات والمفاهيم الملحقة بالتصوف قائلا: "سئل الجنيد عن التصوف فقال: "-هو أن تكون مع

الله تعالى بلا علاقة- وقال الشبلي: التصوف الجلوس مع الله بلا هم..." (بدوي، 1996: 68)، إذن فمحور تعريفه هو علاقة مع الله تقوم على التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل). ويعني كذلك "موقف معرفي يعتقد صاحبه أن حقيقة الوجود، يمكن أن تنكشف انكشافا مباشرا عن طريق الحدس" (يعقوبي، 1998: 88) فالتصوف في جوهره نمط من المعرفة وهي ما يصطلح عليها بالعرفان فما المقصود به؟

1-2- معنى العرفان :

قدم الجابري تعريفا دقيقا للعرفان معبرا عن مختلف زوايا استعماله، يقول: "العرفان لغة: مصدره عرف فهو والمعرفة بمعنى واحد يقال فلسان العرب العرفان علم عرفه يعرفه عرفانا ومعرفة وقد ظهرت كلمة عرفان عند المتصوفة الإسلاميين لتدل عندهم على أسمى أنواع المعرفة" (الجابري، 1976: 253) إذن فالعرفان في المجال اللغوي يعود إلى الفعل عرف وما يشق منه، ويعبر عن أرقى وأوثق المعرفة في نظر المتصوفة. وفي المعنى الاصطلاحي يضيف الجابري قائلا: " موقف من العالم، موقف نفسي وفكري ووجودي" (الجابري، 1976: 255) حيث يؤكد أن العرفان موقف معرفي مما يجري في الوجود يتجاوز ذلك إلا موقف من الحياة والسلوك والمصير، كما يضعه في مقابل البرهان المرتبط بالفلسفة وفي مقابل البيان المرتبط بالفقهاء، مما يجعله نمطا من المعرفة خاص بالمتصوفة وما يتوصلون إليه من معارف حول الوجود... تمثل معرفة صوفية حول ما يوجد فيه، وبالتالي يعرف الجابري العرفان بأنه: " هو نظام معرفي ومنهج في كسب المعرفة ورؤية للعالم وأيضا موقف منه" (الجابري، 1995: 25)، مما يبين أن العرفان هو التصوف في جانبه المعرفي، أو المعرفة الصوفية التي تتخذ منهجا خاصا لها، فما هو الطريق الأنسب للعرفان في نظر الصوفية؟

2- مفهوم المنهج الصوفي و مصادره:

2-1: منهج وطريق الصوفية:

يقول أبو حامد الغزالي في هذا الصدد: "علمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علوهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله" (الغزالي، 2013: 50) فالمنهج الصوفي يمثل طريق الصوفي إلى الحق والحقيقة قوامه الجمع بين العلم والعمل والتخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل في البداية أي ينطلق من الزهد أولا ولكن سرعان ما يتطور إلى معرفة حول الوجود والإنسان والله ليصبح عرفانا. كما أن الأمر لديهم في تحصيل المعرفة متوقف على عدة متحولات أبرزها النية والإقبال والعلم والمجاهدة والاستعداد الفطري والفناء في حضرة الباري (غانم، 2017: 47).

والعرفان يعبر عن نظام ومنهج لبناء الحقيقة، "يتشكل من العلوم الغنوصية والهرمسية الباطنية كما وردت لدى بعض الطوائف الشيعية والصوفية" (ولد أباه، 2013 : 187) حيث يقوم على تجاوز الظاهر وإدراك الباطن للحقيقة ويبلغ ذروته وغاياته الأصلية حيث يتعرف على الكنه والأصل الإلهي للذات الإنسانية. كما يرتبط العرفان بتجربة السالك وحده ويكمل هكذا حتى يصل إلى الحضرة المحمدية أو الحقيقة المحمدية كما نجدها في بعض الكتب وهو مقام عبارة عن معرفة حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتعبير عن نموذج الإنسان الكامل، وهي أول مراتب المعرفة ومنها يستطيع السالك معرفة مراتب الوجود وتفسير وسر العوالم الأخرى عن طريق الذوق تارة والمشاهدات والمكاشفات المجاهدات.

إن "خاصية النهج الصوفي تكمن في أن جميع شيوخه مارسوا النهج الظاهري والباطني معا، وأنهم عرفوا دائما كيف يؤلفون بين الإثنين، حتى لا يؤثر أحدهما في الآخر" (بن تونس، 2005: 68) لأن النهج الصوفي هو عبارة عن تجاوز الباطن للظاهر أي أن الصوفي كثيرا ما يبدأ بالظاهر ثم ينتقل إلى الباطن، فهو لا يتخلّى عن الظاهر كما يعتقد بقر ما يسموا عليه ويتجاوزه ويهذبه، كما يظهر في هذا

الصدد في مجال تفسير القرآن الكريم لدى ابن عربي مثلا: ينطلق من الظاهر ويقول به وبعد ذلك يقول بالباطن في مختلف قراءته للقرآن الكريم.

إضافة إلى ما سبق يتميز المنهج الصوفي بخاصية الجمع بين العلم والعمل، حيث لا نستطيع تصور واحد منهما دون الآخر، يحكي الغزالي في تجربته الصوفية "أن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك" (الغزالي، 2013: 51)، فللمنهج الصوفي أسس علمية ونظرية تتمثل في الاطلاع على كتب الصوفية وفهمها، وأسس عملية تتمثل في الذوق والمعرفة القلبية التي تتم بالمجاهدة والمكاشفة والمشاهدة وتبلغ ذروتها في المعرفة اللدنية التي يتلقاها الصوفي، كاملة إلهية مطلقة تؤدي إلى مفاهيم خاصة حول الوجود والمعرفة والقيم، فما أسس التلقي عند الصوفية؟

2-2- مصادر المنهج الصوفي:

يعتمد المتصوفة في مصادرهم للتلقي على مصدرين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. القرآن هو المصدر الأول لكل المعارف عند الصوفية، يدرك بالتأويل أو الباطن، وهو عبارة عن أدوات الطريق ثم يعتمدون في التلقي الرئيسي عن الإلهام والذوق والكشف وعن الرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء (غانم، 2017: 48)، ففي نظر رجال الصوفية مختلف التعاليم الصوفية لا تمثل سوى التشريعات المستمدة من القرآن والسنة، وقد يعتقد البعض أن الصوفية ينكرون السنة والفقه وغيرهما، وهذا لا يمكن التسليم به لأن الكثير من الصوفية يجزمون أنه لا يصل العبد إلى المقامات إلا باتباع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام رغم أنهم يقولون أن المعرفة لدى الإنسان ليست كاملة وأنه يجب على الإنسان أن يحوز المعرفة الكاملة لا الجزئية فقط بالتجربة الصوفية أو المنهج الصوفي القائم على المجاهدة والمكاشفة والمشاهدة....

إضافة إلى ما سبق يرى الكثير من المتصوفة أن معارفهم مستقاة من مشكاة النبوة، حيث يتلقى العارف والصوفي المعرفة من النبوة يقول 'الغزالي': " إذا فهمت معنى النبوة فأكثر في النظر في القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد تلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب" (الغزالي، 2013: 59)، حيث يعتبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر النور الأول المصدر الأول لدى الصوفية، الذين يمثلون درجة أولياء الله الصالحين ويحملون كرامات التي هي بداية الأنبياء، ولكن الحكمة المحمدية هي أعلى وأسمى الحكم كما يرى بن عربي، لابد أن يستقي المتصوف معرفته من نورها ومصدرها عن طريق التجلي.

3-الكشف والذوق عند الصوفية:

لا يمكن الحديث عن المنهج الصوفي دون معرفة مختلف مقوماته وأهمها الكشف والذوق.

عن الكشف في البداية لابد أن نحدد معناه، وفي اللغة هو الاظهار يقال كشف الأمر كشفا أي أظهره و الكشف هو رفعك الشيء لما يواريه ويغطيه أي اظهاره (الأنصاري، 1979: 102)، أما اصطلاحا: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية و الأمور الخفية وجودا وشهودا (الجرجاني، 1991: 237)، وقد ركزنا على ايضاح هاته الوسيلة في تحصيل المعرفة عند الصوفية لأنها من أهم الوسائل التي يركز عليها الجهاز المعرفي لديهم، وهذه المعرفة تأتي بعدة طرق لكن أغلب العارفين يجمعون على ثلاث مرتكزات ومحددات تقف ورائها وهي الذوق والكشف والوجد ، لكن يعتبر الذوق و الكشف الطابع الغالب عند الصوفية و ذلك أن الوجد أصعب حالا ومقاما و أغلب الصوفية يخشون حالة الوجد.

فالكشف هو كشف الحجاب عن القلب فتشكل المعاني في صور وتمائلات في جلاء البصيرة ويذهب حجة الاسلام أبي حامد الغزالي رحمة الله عليه « ان الكشف عند السادة لا يأتي إلا عن طريق

المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها و الاقبال على الله بكنه الهمة ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب والمتكفل بتنويره بأنوار العلم و كشف له سر الملكوت" (الغزالي، 1997 :19). حيث يعتقد الغزالي أن علوم الأنبياء كشفية عن طريق المكاشفة لا بالتعلم و الكتابة.

عن الذوق عند الصوفية فهو يختلف عن الكشف، لأن الذوق مازال مرتبطا بالروح والنفس، لأن النفس في هذه الحال تكون في مقام الاطمئنان فتحل فيها الروح الملكوتية فيعمل هنا الذوق . فهي تأتي بشكل فيض معرفي مثير للانتباه بحيث يعرف المرید يقينا أن هذا الفيض المعرفي من عند ربه وفي هاته المرحلة تسكن المعرفة الشعور والحال لا الروح والقلب وقد تجده في بعض الكتب يسمى حدسا او خاطرا او واردا وهو في الغالب يأتي للاخبار بشيء معين مثلما جاء في قصة ام سيدنا موسى عليه السلام بان تضعه في النهر , وهذا لا يحصل في حالة الكشف الذي نحن في صدد التكلم عنه , و لتفسير الكشف عند السادة الصوفية نستعين بوصف ابن سينا رحمة الله عليه يقول « والكشف لا يأتي إلا عن طريق الرياضة والرياضة تهدف الى ثلاثة أغراض الغرض الأول التنزه عما سوى الله وذلك بالزهد والغرض الثاني تطويع النفس الأمانة الى المطمئنة والثالث تلطيف السر وهو محل المشاهدة ويعين على ذلك السماع والفكر اللطيف والعشق العفيف وعندما يبدأ المرید في الرياضة ويصل فيها الى الاستعداد يلوح له نور كبرق ثم يزداد في الرياضة حتى تغلب الأنوار على قلبه ثم يصير هو في النور وهنا يصير سره مرآة مجلوة محاذيا بها شطر الحق ودرت عليها الذات العليا وابتهج بالحق وهنا برفع الحجاب ويسمى كشفا» (محمود، 1985: 412).

إذن الكشف هو عملية لا يمكن البرهنة عليها عقلا والاستدلال عليها ولا يمكن تصديرها للآخرين، كونه مرتبط بحال المرید في حد ذاته لأنه هو من يعيش حالة الكشف، ومن كان يريد أن يتذوق ذلك فما عليه سوى سلوك الطريق و الارتقاء في المنازل و المقامات عن طريق المجاهدات بدخول الخلوة وتكون في حالة ظلام و إفراغ القلب

عما سوى الله و الاقبال عليه و الذكر ومراعاة الأدب و المراقبة و الحضور و المواظبة على هذا الحال حتى يفتح الله على من مريده بأي الفتوحات و الكرامات بحوله وقوته وجلاله ويحس بها المريد ويعرف علاماتها بانسراح الصدر ورفع الحجاب بلطف الرحمة وتتال فيها حقائق الرحمة الالهية فيه فتفيض أنوار المعارف وحقائق الأمور ويقول ابن سينا في هذا الصدد الانسان اذا وصل العبد الى هذا المقام « كان لا يستهويه القدر ولا الغضب عند مشاهدة المنكر و أمره بالمعروف نصح فقط مرفق بخلق الله (محمود، 1985: 412) .

وفي مجال الذوق وسيلة للمعرفة عند الصوفية، كتب الشيخ 'عبد الرحمن الوكيل' رحمه الله يقول: إن الصوفية يعتقدون أن الذوق فرض لا شرع ولا عقل ولا هو وحده وسيلة للمعرفة ومصدرها لمعرفة الله سبحانه وصفاته وما يجب له فهو الذوق الذي به نعرف حقائق لأشياء ويحكم عليها بالخيرية والشرية بالحسن والقبح بأنها باطل او حق فلا جرم بان تدين الصوفية بعدد عديد من الأرباب والآلهة ولا عجب ان ترى الصوفية تخضع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية لا عجب في كل هذا. (الوكيل، 1983: 33) و الذوق لمعرفة حقيقته فإننا نقول باللفظ الدقيق في هذا المقام ان الذوق هو اقرب للحال على الكشف بالمعنى هو حاله شعورية بالغة في الفيض الشعوري التي يمكنها استشعار المعاني وتذوقها حيث تأتي المعارف على شكل معاني يتذوقها المريد ويهيم فيها بحيث تكون المعارف هنا بقدر حاله الذوقي وتنقطع بانقطاعه عنها ويكون هنا المريد في بداية الطريق لأنه يقرب الحقيقة والذوق عند السادة هو خاص وعام من حيث المقام وعام من حيث انه الذوق بمعنى ان داخل حلقة الذوق في حد ذاته يوجد مقامات للذوق في حد ذاته .

ولا يحصل الذوق إلا اذا حصل الصفاء داخله وداخل القلب اي ان السالك يجب ان يكون في حالة مستقرة من الناحية الذهنية والنفسية والروحية حتى يستطيع ان يتذوق تلك المعاني ويعرفها معرفة ذوقية ولهذا سماه السادة الصوفية بالتذوق لأنه ببساطة تذوق مثل الذوق الذي يعرفه العامة في الاكل لأن الاول حاسته الروح والحال والمقام

والثاني حاسته اللسان، إن الذوق إن حصل لدى السالك ارتقى في المقام وبدأ يذوق المعاني حسب المقامات حصل بما يعرف عند الصوفية بالتوافق بمعنى حصول أفكار داخل الوعاء الفكري العقلي فيصدقها الانسان الصوفي بانطباقها اولا في القلب .

4- المنهج الصوفي و حوار الاديان:

ان المنتبغ لشؤون العلاقات الدولية يلاحظ ان الصراع الحضاري بلغ أوجه في الفترة المتأخرة، حيث ظهر صراع بين الغرب والشرق على وجه الخصوص ... نظر فيه الكثير من الفلاسفة في مجال صدام الحضارات كهنتنغتون، ولكن في زوايا الأخرى بحث الكثير من المفكرين مشكلة العلاقة بين الحضارات وعلى رأسهم 'غارودي' في مجال الحوار والتقارب بين الأديان، وهو ما وحد ضالته في النهج الصوفي الذي كثيرا ما أسس للأنسنة والتسامح والحوار...

إن فقد عرف العالم في الفترة المتأخرة بروز نزعات التطرف الديني ومعاداة الاسلام ونمو ظاهرة الارهاب وغيرها من المظاهر التي تعطي بوادر سيئة لمستقبل الانسان خصوصا مع انتشار فكرة صدام الحضارات او نهاية التاريخ مع الحضارة الغربية كل هذا دفع بعض المفكرين الذين يشعرون بخطورة الوضع الى وضع مشروع بديل لصدام الحضاري والصراع الديني ومن ابرز هؤلاء المفكر الفرنسي الشهير 'روجي غارودي' الذي حاول وضع اسس لمشروع حضاري فكري يوحد بين البشر وبين الاديان خصوصا الاديان الثلاثة المسيحية والاسلام واليهودية، يقول غارودي: " يعني الاسلام التوكل الإرادي والحر على الإله الواحد الأحد، وذلك هو القاسم المشترك بين الأديان المنزلة: يهودية ومسيحية وإسلامية" (غارودي، 2001: 19). فقد حاول 'روجي غارودي' ان يجد المنهج الذي يستطيع أن يقرب الاديان الى بعضهم البعض بحيث يجد المرونة الفكرية في التعامل مع الأفكار او القضايا التي يمكن أن تشكل مركز تصارع وجدان بين الاديان ولأن 'روجي غارودي' كان مسلما كان

عليه البحث في الفكر الاسلامي والفلسفة الإسلامية لعله يجد التيار او الفكر او المذهب الذي يستطيع ان يتقارب مع الآخرين ويحاوله وينتفع به في ظل الخصوصية اولا ومن ثم علاقته بالآخر هنا وجد مطلبه ومبتغاه في الفكر الصوفي وخصوصا فكر الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومولانا جلال الدين الرومي.

فقد أسس هذين الشيوخ لتصوف منفتح على الآخر لطبيعة نشأتها، فالأول نشأ في الأندلس واحتك كثيرا بالعصر الروماني ما أكسب منهجه في التفكير المرونة في التعامل مع الآخر وكذلك بالنسبة لمولانا جلال الدين الرومي الذي كان في 'قونيا' بجوار بيزنطة العاصمة المسيحية مما دفعه الى تكوين نظرة كونية انسانية لفكره، بالإضافة الى طبيعة الفكر الصوفي في حد ذاته الذي يتخذ الحب مسلكا في طريقه الى معرفة الله سبحانه وتعالى والحب كما هو معروف لا جنس له و ليس له مكان ولا زمان.

وفي هذا الصدد يعتقد 'روجي غارودي' أن حوار الأديان هو المشروع الوحيد الذي يكفل للبشرية العيش بسلام وتجنب الصراع وبوادره على أرض الواقع حيث سماه غارودي بمشروع الأمل (غارودي، 1999: 15). حيث يعتبر من الذين ركزوا كثيرا على هذا المشروع بالذات ويرجع ذلك في رأينا لعدة أسباب منها الطبيعة الفكرية للفيلسوف أو كما يقال الحاضنة النفسية لفكر هذا الرجل ونشأتها، فهو رجل غربي وسياسي وكان شيوعيا وحكم عليه بالإعدام مارس السياسة فهو اذن يعرف طبيعة الصراع والأمر الذي سيؤول إليه العالم لأنه كان يحتك بالسلطة ويمارس الفعل السياسي، هذا ما أعطاه نظرة دقيقة في تحليله للبعد الاستراتيجي لسياسة العالمية الدولية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية ومن وراءها المعسكرات اليهودية والتي تتبنى عقيدة الصراع في بناء القوة العظمى لأمريكا وإسرائيل ولهذا كان 'غارودي' ينتقد كثيرا السياسة الخارجية الأمريكية وفي ظل كل هذا سعى في مشروعه إلى بعث السلام بين الأمم والشعوب قصد رد فعل عكسي لسير العالم نحو المستقبل مثلما

صوره فوكوياما أو صمويل هنتون بما يعرف بحتمية صدام الحضارات أو نهاية التاريخ .

لا يمكن لنا فهم حوار الأديان عند الصوفية ما لم نفهم عقيدة الصوفية في حد ذاتها لأنها ببساطة هي الطابع المحدد لطبيعة فكرهم يقول في هذا الموضوع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي عقد الخلائق في الاله عقائد وإن شهدت جميع ما اعتقدوه (ابن عربي، 1983: 530). إن العقيدة الصوفية مبنية في الأساس على معرفة الحق للحق بالحق عن طريق الكشف والذوق والالهام كما بينا سابقا في هذا البحث والحق في صفاته المطلقة غير مقيد في صورة محددة أو في تصور معين و لهذا هم يشاهدون الحق في كل شيء وعلى أي شيء بمعنى آخر هم يشاهدون الحق في الدين والطائفة و الملة وإن كانت مخالفة للدين الاسلام على الظاهر ولهذا هم يفتحون على الطوائف الأخرى .

إن الاعتقاد عند الصوفية للحق جل جلاله تذوب فيهم كل المذاهب والأديان الأخرى فنلاحظ مثلا أن الشيخ الأكبر أدخل حتى الاوثان والرهبانية الخاصة بالمسيحية والتوراة وغيرها، لأن الحق سبحانه عندهم مطلق غير مقيد بل حتى أن الاطلاق لا يصفه إلا لعجز العقول ونطق الحروف عن وصف الحق جل جلاله ومن هنا نستطيع ان نفهم طرح الصوفية لمسألة حوار الأديان في هذا يقول الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله عليه أنا الحب والمحب والحب جملة أنا العاشق المعشوق سرا وإعلانا ففي أنا كل ما يحمله الوري فمن شاء القران ومن شاء فرقانا ومن شاء التوراة ومن شاء انجيلا ومن شاء مسجدا يناجي ربه ومن شاء بيعة ناقوسا و صليبانا ومن شاء كعبة يقبل ركنها ومن شاء اصناما واوثانا فافي أنا ما قد كان او هو كائن لقد صحا عندنا دليلا و برهانا (الكيلاني، 2004: 38). ولهذا نرى انه من المهم جدا فهم العقيدة الصوفية حتى يمكن بناء التصورات واضحة عن مسألة حوار الأديان فالحكم عن الشيء فرع تصوره كما يقال عند أهل الأصول.

يعتقد الصوفية أن الآخر ما هو إلا صورة لتجلي الحق سبحانه وتعالى في صورة أخرى من صوره المتعددة الغير المحصورة هذا الطرح يساعد على فهم ان التصوف كمنهج أو طريق سلوك في الفعل الانساني منفتح على جميع الملل والنحل والسادة الصوفية من أمثال ابن عربي وجلال الدين الرومي والأمير عبد القادر كمنظرين له وحاملين لواءه الفكري وذلك لطبيعته فكرهم الميينة على تقبل الآخر وحبه والانفتاح له ومن أبرز الأمثلة أيضا الدالة على ذلك الحادثة التي حدثت للأمير عبد القادر الجزائري في سوريا حيث اندلعت مواجهات بين المسلمين والمسيحيين في سوريا وقام بإصلاح بينهم في تجلي عظيم للبعد الحضاري للإسلام والمسلمين والتصوف.

وللأمير عبد القادر الجزائري في حادثة بقيت خالدة له على مر العصور حيث قال ان الأديان في مقدماتها الدين الاسلامي أجل وأقدس من ان تكون خنجر جهال او معول طيش او صرخات بطالة يتداوى بها الحثالة من القوم ان تجعل الجهل عليكم نصيبا او يكون له على نفوسكم سبيلا (الم رابط، 2007: 46). وهذا المثال عن حوار الأديان يصور لنا المفهوم الرائع عند الصوفية للتسامح والحوار معه هو مركز في جميع الديانات السماوية ومن أمثلة التسامح والتواصل الديني عند السادة الصوفية القصة المروية عن جنازة مولانا جلال الدين الرومي حيث حضر جنازته المسيحيين واليهود وهم يتلون الانجيل والتوراة وكان المسلمون يستغربون هذا الفعل ولما بلغ الأمر حاكم قونية سألهم مالكم وعالم مسلم فأجابوه به عرفنا حقيقة الانبياء وفيه رأينا سيرة الاولياء الكاملين (مفتاح ، 2011: 79).

يؤكد الأمير في كتاب "مذكرات الأمير عبد القادر" على عدة عناصر تبين الحوار بين المسيحية والإسلام، من بينها فضائل النجاشي الذي لا يظلم عنده أحد كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الإنجيل يحبب المسلمين للنصارى، وأن ديننا يطرح الكثير من الخصال التي تؤكد محاسن النصارى، "ومما هو معلوم في شرعنا من خصال الروم المستحسنة ما ذكره إمام المحدثين أبو الحسين مسلم...سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: لئن قلت

إن فيهم خللا أربعا: هم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة" (عبد القادر، 2010: 268). وهذا ما يبين أن ديننا الحنيف يؤكد الحوار بين المسلمين والنصارى والتقارب باعتراف كل طرف للآخر لما يوجد فيه من خلال وخصال حميدة، وهذا الطرح هو ما يكرسه المنهج الصوفي الداعي للحوار بين الأديان على أساس الأخلاق التي هي صلب المنهج الصوفي وقوامه عند الأمير وغيره من المتصوفة.

إذن المنهج الصوفي عند الأمير هدفه الأسمى حوار الديانات، حيث "بين أن الأديان على اختلاف أنواعها تتفق فيها، انطلاقا من اشتراكها في قيم كونية كحفظ الشخص وحفظ النفس وحفظ المال والأسرة كما تعرف في تراثنا بمقاصد الشريعة التي جعلها الأمير منطلقا للأنسنة وحوار الأديان " (حمادي، 2015: 112)، فالطريق الصوفي عند الأمير أسمى طرق الحوار بين الأديان لأنه لا يختلف مع القيم الكونية التي تجعل الهدف الأسمى للإنسان في الدين الإسلامي حفظ حياته وماله وعقله ونفسه وعرضه في كل زمان ومكان.

الخاتمة:

نقول في الختام إن التصوف كان وما يزال مخزنا للمعرفة ومصدر توهج في الحضارة الإسلامية، من خلال ما أنتجه من معارف عبر تاريخ الإنسانية تتجلى على وجه الخصوص في **منهج العرفان** الذي يمثل تجاوزا للبيان والبرهان إلى معرفة أو عرفان ينطلق من عمليات الذوق يبلغ ذروته في الكشف والمشاهدة والفناء...، يحمل أبعادا مختلفة أهمها حوار الأديان الذي يعتبر الأنسب لمواجهه الراهن، ومن أهم النتائج المفصلة ما يلي.

-منهج التصوف يقوم على الجمع بين العلم والعمل.

-يقوم التصوف على أسمى درجات المعرفة وهي العرفان.

-يرجع التصوف إلى مصادر قرآنية وسنية ولكنه في الواقع تجربة فردية تنطلق من الذوق والكشف الذين يمثلان أهم ركائز المنهج الصوفي.

-يعتبر التصوف جامعا للأديان والاختلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية

وبالتالي يمكن القول أن التصوف قد قدم للإسلام صورة خاصة يكون من خلالها في في ابهى حلة وهي الجمال والحب والخالق المؤسسة للحوار وتجاوز مختلف أشكال الصراع.

المراجع:

- أحمد عبد الحميد غانم، (2017). نظرية المعرفة في التصوف، ط1. دار الحوار اللادقية، سوريا.
- الأمير عبد القادر، (2010) مذكرات الأمير عبد القادر، ط7تح: محمد صغير بناني- محفوظ سماتي-محمد صالح الجون، شركة دار الأمة، الجزائر. ط7.
- الغزالي أبو حامد ، (2013) المنقذ من الضلال، ط2، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- السيد ولد أباه، (2010) أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث والدراسات والنشر ط1، بيروت لبنان.
- ابن خلدون، (2004) المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1، بيروت لبنان.
- ابن تونس خالد،(2005) التصوف قلب الإسلام، ط1، دار الجيل، بيروت لبنان.
- ابن منظور الانصاري، (1979). لسان العرب، ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجابري محمد عابد، (1986) بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان.
- الجرجاني التعريفات، (1991). بيروت: دار الكتب العلمية.

بدوي عبد الرحمن، (1996) ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، بيروت لبنان.
عبد الحليم محمود، (1985). التفكير الفلسفي في الاسلام. بيروت لبنان: دار الكتاب.
عبد الرحمن الوكيل، (1983). هذه هي الصوفية، الطبعة الرابعة. دار الكتب العلمية.
غارودي روجيه، (2001) الإسلام، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.
محمد مطايع حافظ، (1996). شفاء السائل والتهذيب المسائل لعبد الرحمن ابن خلدون. سوريا: دار الفكر
محمد عابد الجابري، (1995). بنيه العقل العربي، ط.8. الدار البيضاء: مركز دراسات الوحدة العربية.
عادل العوا عويدات، (1999). روجي غارودي في سبيل الحوار الحضارات، ط1. بيروت لبنان: دار الترجمة للطبع والنشر.
الكيلاني، (2004). الأمير عبد القادر المواقف الروحية والفيوضات السبوحية. دار الكتب العلمية.
المرباط جواد، (2007). الأمير عبد القادر التصوف. الجزائر: وزارة الثقافة.
حمادي هواري، (2014). أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، الناصرية، العددان 5 و 6. جامعة معسكر.
عبد الباقي مفتاح، (2011). "نظره الأمير عبد القادر راي الاخر". مجله الاديان، مركز الاديان الدوحة الدولي للحوار الاديان، العدد الاول.
يعقوبي محمود، (1996) معجم الفلسفة، دار القصبه الجزائر.

للإحالة على هذا المقال:

- هشام مسعودي، هواري حمادي، (2023)، « المنهج الصوفي وحوار الأديان ». المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص.ص 939-954.